

ليس في الطريق مزارع ، وكل ما حوله أرض فضاء رملية
تغوص فيها قدماء الثقيلتان ، ويجاهد بهما - وهو مسرع - يساعدهما
بحركة من كتفيه ...

بعد برهة وقف ذاهلا ... لم يبق بينه وبين النيل سوى خطوات
قليلة ، مع أنه يذكر أنه كان يصل للنيل بعد سير طويل .

وقت شبابه كانت الموردة (١) تقرب من البلد أو تبعد عنها بمسافات
لم يلاحظها جاسر ، لأنه ليس فلاحاً تهمة القصبية والشبر ، بل لطول
مجاورته للنيل وتعوده على تصارييف هذا المخلوق العجيب ، كحارس
الأسد : يسمع أخفت همس المتفرجين عن البقشيش ، ولا تحس
أذناه شيئاً إذا زار الوحش من على كتفه ..

ولكنه في هذا اليوم لم يتمالك نفسه من الاندهاش . زالت
سطوة العادة وتحجر الفكرة أمام قوة النيل . في خمس عشرة سنة
أكل من بنى شقير مسافة رحبية ، كان جاسر يمشيها في أكثر
من نصف ساعة .

وأشرف على الموردة والشمس لما تشرق . على بعد « كوشة »
جبر تحترق ويظللها الدخان .. أمامه قلوب بعض المراكب يسمع ضوضاء
بالسبين فيها .. ووقف جاسر على مرتفع من الجسر . للريح صفير ،
والنيل تحته دمدمة خفيفة .. هو في عز فيضانه ، يطل عليه كالشبح
ناشئ من طينه . الطبيعة سواء في الاثنين ، ليست الشهوة قاصرة على
الحى .. كلاهما يزرع تحت عبء فورة واحدة ...

(١) مباءة القرية على النهر